

القعقاع بن عمرو

محمد أمين الميراني

الصحابي الجليل ، الحريص على دينه ، الشديد في الدفاع عنه ، المجاهد لاعلاء رايته .

أخرج ابن حجر العسقلاني في كتابه الاصابة في تمييز الصحابة (ج ٣ ص ٢٣٠) . مايفيد صحبة القعقاع للرسول ، فقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم القعقاع ذات يوم : ماذا أعددت للجهاد يا قعقاع ، فأجاب : طاعة الله ورسوله والخيل ، فاستحسن الرسول الكريم هذا الجواب وقال له : تلك الغاية .

على اننا لانسى بأن الفموض قد اكتنف ولادة هذا الفارس ، ونشأته الاولى ، وتضاربت الاراء حول حضوره لوفاة الرسول الكريم ، فقد قيل بأن القعقاع شهد وفاة الرسول وانه انطلق ليخبر المهاجرين بأمر تجمع الانصار في سقيفة بني ساعدة لمبايعة زعيمهم سعد ابن عبادة كخليفة للمسلمين .

وقد انتهى هذا الخلاف الذي كاد ان يعصف بأركان الدولة الاسلامية في اولى عهودها ، باختيار ابي بكر الصديق ، خليفة للمسلمين ، بعد ان رضيته الانصار والمهاجرين .

وكان عهد الخليفة الاول ، العهد الذي برز فيه القعقاع ، وتوضح دوره ، ولفت انظار المؤرخين اليه .

فأول مابدأ دور القعقاع يتوضح في تاريخ حروبنا ومعاركنا ، بدأ حين وجه الخليفة الأول أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ، الجيوش لمحاربة اولئك

حين تقلب صفحات التاريخ ، نبحت عن اولئك الذين ساهموا بصنع مجدنا وحضارتنا ، وعملوا على نشر تعاليم الدين الحنيف ، يطالعنا وجه فارس عربي ، بلامح صارمة ، ونظرات ثاقبة ، نقرأ عن شجاعته النادرة ، وبطولته الفائقة ، ونعجب كيف أهمل المؤرخون الحديث عنه حتى بدأت الجيوش الاسلامية الفاتحة تنطلق شرقا وغربا ، لتوقد مصابيح الهداية في تلك الأرجاء ، وتحرر اراضيها مما كانت تعانيه من جهل وضلالة وكفر ..

عندها فقط التفت اليه المؤرخون وبدأوا يولوه اهتمامهم ، ويتحدثون عن شجاعته وبطولته، ويسردون تفاصيل المعارك التي اشترك بها ، والفتوحات التي ساهم فيها ، فحفظت لنا كتبهم بعضا من تفاصيل حياته ، ولكن ليس بالقدر الذي يرضي فينا حب المعرفة والاستطلاع .

فارسنا هو القعقاع بن عمرو ، من قبيلة تميم ، تميم بن مر ، تلك القبيلة التي قدمت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام التاسع للهجرة بعد فتح مكة ، لتعلن اسلامها ، ويقال بأن القعقاع كان ضمن وفد قبيلة تميم تلك التي اتت الرسول الكريم ، وبذلك نرى بأن القعقاع تربى في الحضرة النبوية الشريفة ، وصاحب الرسول وتعلم من دروسه العظيمة ، وكان



الذين ارتدوا عن دين الاسلام ، وفرطوا بتعاليمه وأركانها ، واتبعوا قادة مشركين ، ادعوا النبوة وجأهروا بها •

لقد حرص أبو بكر على تثبيت أركان الدولة الاسلامية الفتية ، ولم يكن ليتم له ذلك الا بالقضاء على المرتدين والعودة بهم الى دين الاسلام ، لذلك وجه أبو بكر الجيوش لمحاربتهم ، وبعث بالقعقاع على رأس سرية من المسلمين لتأديب « علقمة بن علاشة » الذي خرج في بني كلاب مرتدا •

وكان علقمة قد أسلم ثم ارتد في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم • ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام فلما توفي النبي ، اقبل علقمة مسرعا حتى عسكر في بني كعب • مقدا رجلا ومؤخرا أخرى ، وكان ذلك في السنة الحادية عشرة للهجرة النبوية الشريفة •

وعلم بذلك أبو بكر فبعث له بالقعقاع ، وقال له : يا قعقاع ، سر حتى تغير على علقمة بن علاشة ، لعلك أن تأخذه لي أو تقتله ، واعلم ان شفاء الشق الحوص^(١) ، فاصنع ما عندك^(٢) •

فأغار القعقاع على الماء الذي عليه علقمة ، فاستبى امرأته وبناته ونساءه ، وقدم بهم وبعلقمة أسيرا على الخليفة ، ولكن ولد علقمة وزوجه انكروا أنهم جاروا علقمة في ارتداده ! وكان أن عاد علقمة بعد ذلك عن رده وأسلم فقبل منه الخليفة اسلامه •

كانت مهمة بسيطة تلك التي اضطلع بها القعقاع في حروب الردة ، ولكنها كانت كافية لتدلنا على مبلغ ثقة الخليفة الأول بالقعقاع ، واعتماده عليه ، في تلك الظروف العصيبة التي عانت منها الدولة الاسلامية في اولى عهودها •

وبعد أن توطدت أركان الدولة الاسلامية بالقضاء على المرتدين ، فكر الخليفة الأول بتوجيه الجيوش لفتح العراق ، وكان أن عقد لسيف الله خالد بن الوليد (رضي الله عنه) - والذي ابلى بلاء حسنا في حروب الردة - لواء فتح العراق •

وكتب له يكلفه بهذه المهمة على أن تكون مدينة الأبله - ثغر الفرس على الخليج - وجهته الأولى ، وحدد مدينة الحيرة هدفا له •

على أن أبا بكر أجاز لمن شاء من جيش خالد بالرجوع الى بلده ، وطلب منه أن لا يصحب معه الى العراق كاره للقتال • وفوجيء خالد حين قرأ رسالة الخليفة على جنده ، بالكثير منهم يعودون غير راغبين معه لفتح العراق • فكتب الى الخليفة يعلمه بما جرى طالبا منه أن يمدّه بجنود بدل الذين انقضوا عنه •

فأرسل أبو بكر الى خالد بالقعقاع بن عمرو !؟ وحين سأله أصحابه مستغربين : أتمد رجلا قد أرفض عنه جنوده برجل ! قال أبو بكر : لا يهزم جيش فيه مثل هذا !!!^(٣) •

انها شهادة كبيرة من الخليفة ، وثناء عظيم للقعقاع ، وايجاز بليغ يصف هذا الفارس المقدام •

لقد اشتهر عن أبي بكر ، معرفته بأنساب كل قبيلة ، ومفخر أبطالها ومثالب أفرادها • ولا بد من أنه عرف للقعقاع في حياة الجاهلية شجاعته ، وبطولته ، وكان هو أول من كلفه بمهمة بعد ان شرح الله قلب القعقاع للاسلام ، فكان توجهه لقتال « علقمة بن علاشة » وها هو يمد خالدا به هذه المرة ، وهو على يقين بأن خالدا سيجد فيه السند والمعونة ، وسيكون الجندي الشجاع في جيشه ، والمجاهد الذي لن يهزم جيش انضم الى صفوفه •



للهجوم ، فاندفعوا نحو الفرس بقوة وشجاعة وسرعان ما التحم الجيشان وتمكن خالد في هذه المعركة من قتل قائد الفرس « هرمز » . لتنتهي المعركة أخيرا بانتصار المسلمين وهزيمة الفرس ، وبدأ من وقتها نجم القعقاع يتلأأ في سماء المعارك ، والفتوح الاسلامية ، مسجلا أروع المفاخر ، وأكبر الانتصارات .

وبعد هذا الانتصار المظفر ، انطلق خالد بجيش المسلمين نحو مدينة (المذار) ، على نهر دجلة ، ليلتقي بجيش فارس آخر كان ملك الفرس « أردشير » ، قد جهزه ووضع على رأسه القائد « قارن » ، لمساندة جيش هرمز ، الا أن هزيمة جيش هرمز ، جعلت « قارن » يحط الرحال في المذار ، بانتظار جيش المسلمين .

والتقى الجيشان ، وكان النصر حليف المسلمين ، وقد أشد القعقاع بعد هذا الانتصار ، وكان بين صفوف المجاهدين :

فحنن وطننا بالكواظم (هرمزا)

وبالثنى قرني (قارن) بالجوارف (٤)

وتتابعت انتصارات جيش المسلمين - وبين صفوفه فارسنا القعقاع - في أرض العراق ، وألحق بالفرس الهزيمة في معركة الوجة ، ومعركة أليس وقد انضم للفرس في هذه المعركة عرب النصارى الذين كانوا لا يزالون على ولائهم للفرس - ، ثم انضموا إلى أبناء جلدتهم من العرب .

وقد استخلف خالد القعقاع على مدينة الحيرة ، وانطلق للقضاء على مقاومة الفرس في بقية ارض العراق .

كانت أولى معارك المسلمين في أرض العراق . معركة « ذات السلاسل » - نسبة للسلاسل التي ربط الفرس جنودهم بها قبل بدء المعركة - والتي جرت بين المسلمين والفرس في شهر محرم من السنة الثانية عشرة للهجرة .

كان يقود جيش الفرس في هذه المعركة القائد الفارسي « هرمز » ، الذي عرف عنه الخبث والخديعة وكانت منطقة (الكاظمية) على الخليج هي ساحة القتال بين الجيشين .

وقد اضمر هرمز لخالد الخديعة ، فاعوز لبعض جنده بأن يتربصوا بخالد وما أن يروه مشغولا بالقتال معه ، حتى يسرعوا فيقتلوه غدرا ، فبغت ذلك في عضد جيش المسلمين ويبدد شملهم .

وخرج « هرمز » من بين صفوف الفرس ونادى لخالد ليخرج لمبارزته ، فخرج خالد ، وتقاتلا وهما راجلان ، ثم رميا السيوف وتصارعا ، وحانت الفرصة التي ينتظرها جند هرمز للغدر بخالد . فأسرعوا اليه ليقتلوه . . . ولكن صفوف المسلمين انشقت عن فارس مقدام يسرع والسيوف بيده يلحق بخالد ، وقد رأى جند الفرس يخفون للغدر به وهو مشغول عنهم بصراعه مع « هرمز » .

كان هذا الفارس المقدام القعقاع ، الذي لم يجد وقتا لتنبيه أصحابه لغدر الفرس ، فأسرع بنفسه لينقذ خالدا ، ووصل اليه قبل أن يتمكن منه جنود « هرمز » . فأثبت القعقاع وهو لا يزال في أول معاركه ، قوة ملاحظته وسرعة بديهته وحسن تقديره ، فكان أن خف لانتقاذ قائده والدفاع عنه ورد كيد الفرس . ورأى المسلمون صنيع القعقاع ، فعرفوا بأن الوقت قد حان

وهنا يلعب القعقاع دورا جديدا في تاريخ الدولة الاسلامية ، فهو أمير على مدينة الحيرة ، يحكمها ويدير شؤونها طبقا للشروط التي استسلم عليها أهلها للمسلمين .

ولو لم يكن للقعقاع الامكانيات والصفات التي تؤهله لحكم هذه المدينة الكبيرة من مدن العراق ، فما كان خالد ليستخلفه عليها ، وقد أثبتت الحوادث التي جرت فيما بعد صواب رأي خالد في استخلافه للقعقاع على الحيرة .

على أن كتب التاريخ أغفلت هذه المرة أيضا الحديث عن القعقاع في خلال وجوده في الحيرة، ولعل قصر الفترة التي بقي فيها هناك والتحاقه بجيش خالد في فتوحاته المتتابعة بعد ذلك ما يبرر هذا الإغفال .

ووصلت للقعقاع وهو في الحيرة أنباء تجمع الفرس من جديد في الحصيد والخنافس ، فكلف « أعبد بن مذكي » ، و « عروة بن الجعد » ، بأن ينطلقا مع جندهما ليرصدا تحركات الفرس في هاتين المنطقتين وييقيا على تماس مباشر معهم وقال لهما : ان رأيتما مقدما فأقدما^(٥) .

وكلف خالد القعقاع بعد ذلك بمحاربة الفرس في الحصيد ، وقد ارتجز القعقاع بعد انتصاره على الفرس في هذه الموقعة :

ألا أبلغا أسماء أن خليلها
قضى وطرا من روزمهر الأعاجم

غداه صحبنا ، في حصيد جموعهم
بهندية تغري فراخ الجماجم^(٦)

واشترك القعقاع بعد ذلك مع جيش المسلمين في قتال الفرس وحامياتهم ، في المصيخ ، والثنى

والزميل ، وحارب مع خالد حامية الروم على تخوم الامبراطورية الفارسية . وانتقل بعدها مع جيش خالد من العراق الى الشام وبناء على أوامر الخليفة الأول في تلك المسيرة المحفوفة بالمخاطر التي تجشمها خالد وجنده في سبيل اللحاق باخوانهم في الشام ، الذين بدأوا بمناوئة قوات الروم .

وكان أن نجح خالد وجيشه بالوصول الى أرض الشام ، متجنبين الاصطدام بحاميات الروم في طريقهم، مختصرين مسافات طويلة .

وبدأ خالد وجيشه - وفيه القعقاع - معاركهم الأولى في أرض الشام ، بالاغارة على قرية «سوى» ، ثم مدينة « أرك » وتم لهم الانتصار على الحاميات الفارسية فيها ، وتمت المصالحة بينه وبين أهل تدمر على دفع الجزية ، وأغار بعدها على « القريتين » ، الى أن وصل الى مدينة البصرى ، ليشترك مع جيش « شرحبيل بن حسنه » ، في فتح هذه المدينة الهامة من مدن الشام .

أما أولى أهم المعارك بين المسلمين والروم في أرض الشام ، فكانت معركة « أجنادين » ، التي جرت في شهر جمادى الأول من السنة الثالثة عشرة للهجرة . وفيها انتصر المسلمون على الروم وشردوا جموعهم ، وقتلوا قائد جيشهم (وردان) ، ومعاونه (القبقلاز) .

وكانت هذه المعركة آخر المعارك التي جرت في حياة الخليفة الأول أبو بكر الصديق الذي توفي ودفن بجانب صاحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسلم الخلافة بعده عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، بناء على عهد كتبه أبو بكر للمسلمين باستخلاف عمر .

وفي خلافة عمر ، جرت المعركة الكبرى بين المسلمين ، معركة اليرموك .

أرض الشام ، فكانت معركة فحل ، التي انتهت
بانتصار المسلمين وهزيمة الروم .

على أن أكبر المعارك التي اشترك فيها القعقاع بن
عمرو ، كانت معركة القادسية .

كتب عمر الخطاب ، الخليفة الثاني للمسلمين ، الى
قائد جنده في الشام أبي عبيدة بن الجراح ، يأمره أن
يعيد جيش العراق الذي قدّمَ به خالد بن الوليد
بناء على أوامر الخليفة الأول في أولى معارك المسلمين
على أرض الشام ، أن يعيده الى العراق لينضم الى
جيش المسلمين الذي يستعد لملاقاة الفرس في القادسية .
وامتثل أبو عبيدة لأوامر الخليفة وجّهز الجيش وأمره
بالعودة الى أرض العراق .

وكان تعداد الجيش العائد ستة آلاف مجاهد ،
وضع أبو عبيدة على رأس هذا الجيش « هاشم بن عتبة
ابن أبي وقاص » ، وعلى مقدمته « القعقاع بن عمرو ،
وعلى مجنبيه « قيس بن هبيرة بن يغوث المرادي » ،
« والهزهاز بن عمرو العجلي » (٩) .

ولم يتمكن القعقاع من الاشتراك في معركة
القادسية في أولى أيامها ، بل وصل الى أرض المعركة
في ثاني يوم - يوم أغواث - .

فما أن أشرقت الشمس ونشرت أشعتها على أرض
المعركة في ثاني أيامها حتى استعد الجيشان - جيش
المسلمين وجيش الفرس - للقتال من جديد .

فاليوم الأول انتهى وكلا الجيشين لا يزالان في
مواقعهما الاولى ، وقد تركز هجوم الفرس يومها على
جناح المسلمين الأيسر الذي تمركزت فيه قبيلة (بجيلة) ،
وكان يقود هجوم الفرس قائد جناح ميمنة جيشهم
« هرمزان » وجنده ، يسانده « جالنوس » وجنده ،

واشترك القعقاع مع جيش المسلمين في هذه
المعركة ، وكان هو وعكرمة بن أبي جهل في مجنبي
قلب جيش المسلمين ، وأوعز اليهما خالد - قائد جيش
المسلمين - ببدء القتال بعد أن مضت خمسة أيام على
بدء المعركة والمناوشات والمبارزات مستمرة بين المسلمين
والفرس ، فأثشب القعقاع القتال وهو يرتجز :

يا ليتني ألقاك في الطراد

قبل اعتزام الجحفل الوارد

وأنت في حليتك الوارد (٧)

وكان النصر حليف المسلمين في هذه المعركة
الحاسمة ، فقد فر قائد جيش الروم (باهان) . وقتل
معظم قادتهم ، وسقط الكثير من جندهم في وادي
الرقاد ، وقتل أكثرهم قبل أن يلوذ البقية بالفرار .
وساهم القعقاع بعد هذه المعركة ، في فتح مدينة
دمشق ، وقد تسور مع خالد وعدي بن حاتم الباب
الشرقي لسور مدينة دمشق ، وقضوا على حراس هذا
الباب ، ليفتحوه لجند المسلمين الذين كانوا قد
رابضوا أمامه .

وأشد القعقاع بعد فتح مدينة دمشق :

أقمنا على داري سليمان أشهرا

بخالد وما قد حموا بالصوارم

فضنضنها بها الباب العراقي عنوة

فدان لنا مستسلما كل قائم

أقول وقد دارت رحانا بدارهم

أقيموا لهم جز الذرى بالغلاصم

فلما زأدنا في دمشق نحورهم

وتدمر عضوا منها بالأباهم (٨)

أما آخر المعارك التي اشترك فيها القعقاع في

وقد أفرع - في ذلك اليوم - منظر الفيلة التي استخدمها الفرس في هذه المعركة ، خيل المسلمين ، فكانت تفر من أرض المعركة ، ولا يملك الفارس المسلم عنانها ، إلا أن « عاصم بن عمرو » (شقيق القعقاع) ، استطاع مع زملائه قطع الأربطة التي شد بها الفرس الصناديق المحتشدة برماثهم على ظهر الفيلة •

وصلت أولى طلائع جيش العراق والعائد من أرض الشام مع اشراقة شمس ثاني أيام المعركة ، وكان على رأس جند الطلائع القعقاع بن عمرو •

كان تعداد جند المقدمة ألف مقاتل ، قسمهم القعقاع الى عشرات ، وأمرهم أن ينطلقوا بهذا الشكل كلما بلغ عشرة منهم مدى البصر لحق بهم عشرة أخرى وهكذا ...

وكان القعقاع على رأس أول عشرة ، وما أن وصل الى أرض المعركة حتى استبشر جند المسلمين وتشجعوا ، ووقف هو فيهم يبشرهم بمزيد من المدد ويقوي من عزيمتهم ويقول لهم : يا أيها الناس ، إني قد جئتكم في قوم ، والله أن لو كانوا بمكانكم ، ثم أحسوكم حسدوكم حظوتها ، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم ، فاصنعوا كما أصنع •

وسرعان ما بدأ بعدها القتال ، وخرج القعقاع من بين الصفوف ونادى : من يبارز ؟ فخرج اليه ذو الحاجب ، فقال له القعقاع : من أنت ؟ فأجابه : انا بهمن جاذوية ، فصرخ القعقاع : يالثرأت أبي عبيد وسليط وأصحاب الجسر ، واندفع نحو بهمن ، واشتبك معه ، وسرعان ما قتله ، ووقف لينادي من جديد : من يبارز ؟ فخرج له هذه المرة اثنان من فرسان الفرس : البيروزان والبندوان ، فأنضم الى القعقاع « الحارث ابن ظبيان » ، ليكفيه أحد الفارسين •

واشتبك القعقاع مع « البيروزان » ، وضربه ضربة قوية أطاحت برأسه ، وتمكن « الحارث بن ظبيان » ، من قتل « البندوان » أيضا •

ووصلت بقية جند مقدمة جيش العراق الى أرض المعركة ، فازداد استبشار المسلمين ، وقويت عزيمتهم ، ووقف القعقاع يقول لهم : يامعشر المسلمين ، باثروهم بالسيوف ، فانما يحصد الناس بها ، وابتكر القعقاع في هذا اليوم حيلة ذكية ، فقد عمد الى بعض إبل جيش المسلمين فألبسها وجللها بأقمشة مبرقة وجعل عليها بعض الفرسان ودفع بها الى أرض المعركة ، فكانت بتحريكها تثير الفزع في قلوب الفرس ، وتجفل خيولهم ، وأصاب الفرس بذلك ما أصاب المسلمون في أول أيام المعركة •

ولما رأت بقية القبائل أثر حيلة القعقاع ، حذت حذوه فألبست بعض إبلها وجللتها بأقمشة مبرقة مما جعل خيل الفرس تفر من أرض المعركة ، مشيرة البلبلة والفزع بين الصفوف •

لقد حمل القعقاع في هذا اليوم من أيام المعركة ثلاثين حملة ، كلما لحق به عشرة من أصحابه ، يحمل حملة جديدة وهو يرتجز :

أزعجهم عمدا بها ازعاجا
أطعن طعنا صائبا ثجاجا
أرجو به من جنة أفواجا

وفي كل حملة حملها القعقاع كان يقتل فارسا من فرسان الفرس وكان آخر من قتلهم : بزرجمهر الهمداني ، وأنشد القعقاع في ذلك :
جوتـه جياشـة بالنفس
هدارة مثل شعاع الشمس

في يوم أغواث غليل الفرس
أنخس بالقوم أشد النخس

حتى تفيض معشري ونفسي (١٠)

واستمر القتال في هذا اليوم من أيام المعركة ،
حتى بعد غروب الشمس ، وكان سعد بن أبي وقاص
- قائد جيش المسلمين في القادسية - يستدل على
سير المعركة من أصوات المسلمين التي تملأ مكبرة
ويصله صداها في ظلمة الليل •

وفي ثالث أيام المعركة - يوم عماس - عمد القعقاع
الى حيلة جديدة يشد بها أزر المسلمين ، ويقوي من
معنوياتهم ، ويجدد نشاطهم • فقد أوعز القعقاع لجنده
الذين قدموا معه من الشام ، لينطلقوا الى المكان
الذي أتوا منه في ثاني أيام المعركة وأمرهم أن يقضوا
ليلتهم هناك وما أن يطلع الصبح حتى يعودوا الى
أرض المعركة ، وكأنهم مدد جديد وصل من أرض
الشام ، ليساعد جند المسلمين في القادسية •••

وقال القعقاع لأصحابه : اذا طلعت الشمس ،
فأقبلوا مائه مائه ، كلما توارى عنكم مائه ، فليتبعضا
مائه ، فان جاء هاشم فذاك وإلا جددتم للناس رجاء
وجدا (١١) •

وانطلق جند القعقاع تنفيذ الأوامر الى ذلك المكان
وما أن اشرقت الشمس على أرض المعركة ، حتى
لاح في الأفق فرسان المسلمين يتجهون الى أرض
المعركة ، وكانوا جند القعقاع ، فكبر المسلمون في
القادسية ، وقد حسبوا بأن بقية جيش هاشم القادم
من أرض الشام قد وصل •

وأمر عاصم بن عمرو (شقيق القعقاع) ، جنده

بمثل ما أمر القعقاع جنده ، فكان جند عاصم يفدون
الى أرض المعركة ، فيبعث مرآهم في قلوب المسلمين
القوة ، ويشد من عزيمتهم •

وما أن عاد جند القعقاع الى أرض المعركة ، حتى
وصل جيش هاشم من أرض الشام ، وعلم هاشم بما
فعله القعقاع فعمد هو أيضا الى تقسيم جنده الى
جماعات كل جماعة تضم سبعين رجلا ، وأمرهم أن
ينطلقوا الى أرض المعركة ، وما أن رآهم جند
المسلمين في القادسية ، حتى ازدادوا استبشارا وفرحاً ،
وبدأوا يعدون العدة لملاقاة الفرس •

وقد قدر الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك ،
بأن صنعة القعقاع في اليومين الثاني والثالث من أيام
المعركة ، قد أسهمت في ترجيح كفة المسلمين ، وساعدتهم
على انتصارهم •

دفع الفرس بأفيالهم من جديد الى أرض المعركة
في هذا اليوم ، بعد أن صنعوا أربطة جديدة ، وربطوا
الصناديق عليها ، وملأوها بالجنود ، وأحاطوها بالفرسان
منعا لتكرار ما حدث في أول أيام المعركة • وبعث سعد
الى بعض اسرى الفرس ، الذين أسلموا وانضموا الى
جيش المسلمين ، يسألهم عن مقتل الفيلة ، وقال لهم :
هل لها مقاتل ، فقالوا له : نعم ، المشافر والعيون لا ينتفع
بعدها •

فأرسل سعد الى القعقاع وشقيقه عاصم وقال
لهما : أكياني الابيض • يعني أن يقتلا له الفيل الابيض ،
لان معظم الفيلة تألف هذا الفيل وتسير بازائه دائما •

كما أرسل سعد الى « حمال بن مالك » و « الربيل
ابن عمرو » ، وقال لهما : اكياني الفيل الأجر •

وبدأت المعركة ، وانطلق القعقاع وشقيقه عاصم نحو الفيل الأبيض ، وعزما على النيل من عينيه في البدء ، فأختارا رمحين لينين ، وانطلقا نحوه ، يحوط بهما أصحابهما ، ليكفوهما فرسان الفرس الذين يدافعون عن الفيل .

وسنحت الفرصة للقعقاع وشقيقه عاصم ، والفيل الأبيض متشاغل بالفرسان الذين يقتتلون من حوله ، فوضعا رمحيهما في وقت واحد في عيني الفيل ، فهاج الفيل وانتفض ، ورمى سائسه من على ظهره ، وأسرع القعقاع بعدها ليستل سيفه ليقطع خرطوم الفيل ، فوقع الفيل على جنبه وسقط الجنود الذين كانوا في الصندوق من على ظهره ، فهجم عليهم أصحاب القعقاع وقتلوهم .

وكان أن ادنى كل من « الرييل بن عمرو » ، و « جمال بن مالك » ، مهتهما ، ففقا عين الفيل الأجر ، وقطعا خرطومه ففر الفيل من أرض المعركة ، وكان في أثناء فراره يصيب جند الفرس ويدوسهم ويبعث الذعر في نفوسهم ، أما الفيل الأبيض فقد بقي مطروحا على أرض المعركة ، يناله المسلمون بسيوفهم ورماحهم ، وهو عاجز عن الحركة لايبصر ماحوله ولا يستطيع أن يدفع عنه أحدا .

وما أن بدأت الشمس تغرب ، حتى كانت أرض المعركة خالية من فيلة الفرس ، وأنشد القعقاع في ذلك اليوم :

خصص قومي مضرحي بن يعمر

فله قومي حين هزموا العواليا

وما خام عنها يوم سارت جموعنا

لأهل قديس يمنعون المواليا (١٢)

فان كنت قاتلت العدو فللته
فاني لألقي في الحروب الدواهي

فيولا أراها كاليوت مغيرة
أسمل أعيانا لها وماقيا (١٣)

واستمر القتال يومها الى بعد غروب الشمس ، وطوال الليل ، وبات سعد قلقا ، يرهف السمع لصوت يصله ، ليطمئنه على سير المعركة ، وكان أن وصله صوت القعقاع أخيراً في النصف الثاني من الليل وهو ينشد :

نحن قتلنا معشرا وزائدا
أربعة وخمسة وواحدا

نحسب فوق البلد الاساودا
حتى اذا ماتوا دعوت جاهدا
الله ربي ، واحترزت عامدا (١٤)

وفي آخر أيام المعركة - يوم القادسية - خاطب القعقاع اصحابه وقد قدر بأن الساعات الحاسمة في المعركة قد أزفت ، فقال لهم يشد من أزهرهم ويبعث فيهم الهمة والنشاط :

إن الدبرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فأصبروا ساعة ، واحملوا ، فان النصر مع الصبر (١٥) .

وعزم القعقاع على الوصول الى رستم في معسكره ، فجمع اليه بعض فرسانه ، وشنوا هجوما قويا باتجاه معسكر رستم ، - قائد جيش الفرس - والسري الذي يجلس عليه ، ولم يمض وقت طويل حتى استطاع القعقاع وفرسانه شق طريقهم من بين صفوف الفرس ، واقتربوا من معسكر « رستم » . ورأت بقية القبائل ما فعله القعقاع وفرسانه ، فتنادوا فيما بينهم ، وحملوا دفعة واحدة على الفرس . وما أن توسطت الشمس

الأكاسرة في المدائن والذي كان يدعى الأبيض ، فنأدى
ضرار بن الخطاب وقد رأى ذلك القصر على الضفة
الشرقية لنهر دجلة : الله أكبر ! أبيض كسرى ، هذا
ما وعد الله ورسوله (١٧) .

عبر المسلمون نهر دجلة الى الضفة الشرقية ، نحو
المدائن ، وفي أثناء هذا العبور سقط أحد فرسان
المسلمين ويدعى « غرقدة » من على ظهر فرس له شقراء
فراه القعقاع ، الذي عبر مع جند المسلمين النهر
باتجاه المدائن ، والذي يبدو أنه كان قريبا منه ، فهب
لنجدته بكل المروءة والشهامة والنجدة التي عرفت عنه ،
وأخذ بيده وسجبه حتى نجح كلاهما في عبور النهر ،
فقال البارقي أحد فرسان المسلمين ، وقد رأى نجدة
القعقاع لأحد زملائه : أعجز الأخوات أن يلدن مثلك
ياقعقاع (١٨) .

ونجح المسلمون في عبور النهر ، واصطدموا بالفرس
الذين تجمعوا في الضفة الشرقية لوقف تقدم المسلمين ،
واستطاع المسلمون التغلغل على حامية الفرس ليتابعوا
طريقهم نحو قصر كسرى ، ليدخلوه بعدها وقد
استجابت الحامية المدافعة عنه لدفع الجزية .

وقد شارك القعقاع بعد فتح (المدائن) بمعركة
جلولاء ، حيث حفر الفرس حول هذه البلدة خندقا
وتحصنوا خلفه ليمنعوا المسلمين من الوصول اليهم ،
وسوروا الخندق بالآخشاب مدية الرؤوس وجعلوا
لهم منفذا عبر الخندق لئلا يحصرهم أنفسهم خلف
سور الخندق .

وكانت تخرج من خلف الخندق كتيبة للفرس لقتال
المسلمين ، وتدخل لتخرج واحدة غيرها لمتابعة القتال ،
فقال ذلك المسلمون ، ولمح القعقاع على وجوه أصحابه
الضيق والانعاج فقال لهم : أهالكُم هذه ؟ فردوا

كبد السماء حتى تراجع جناح الفرس الأيمن الذي
يقوده القائد « هرمزان » ، تحت ضغط هجوم جند
المسلمين واندفاعهم ، كما تراجع جناح الفرس الأيسر
الذي يقوده القائد « اليرزان » والقعقاع وفرسان
المسلمين يزدادون اقترابا من معسكر رستم القائم في
قلب الجيش الفارسي .

وانتهت المعركة أخيرا بمقتل قائد الفرس « رستم » ،
وهزيمة جنده ومقتل الكثيرين منهم .

وكانت هناك مهمة أخرى تنتظر القعقاع بعد
انتهاء المعركة وانتصار المسلمين ، فقد أوكل سعد الى
القعقاع مهمة مطاردة فلول جيش الفرس المهزوم ، وقد
صحب القعقاع شقيقه عاصم في هذه المهمة . وهكذا
ساهم القعقاع بالنصيب الأكبر في تلك المعركة ، ونجح
فيما ابتكره من حيل في شد عزيمة المسلمين وتشجيعهم ،
ودب الذعر والخوف في قلوب جند الفرس ، كما قضى
مع شقيقه عاصم على أكبر فيلة الفرس ، وأعظمها
(الفيل الأبيض) ، وفي ذلك مامكن المسلمين من الثبات
في أرض المعركة والقضاء على مشاة الفرس .

حقا ، كانت معركة القادسية ذروة أمجاد القعقاع
ومفاخره وبطولته .

وشارك القعقاع بعد هذه المعركة بحصار مدينة
(بهر سير) (١٦) ، الذي انتهى بفرار الفرس منها عبر
نهر دجلة ، الى الضفة الشرقية الى (المدائن) ، ليدخلها
المسلمون ويجدوها خالية من أهلها حتى السفن التي
كانت تستخدم لعبور نهر دجلة ، استخدمها الفرس
كلها وعبروا عليها ، ولم يبقوا في (بهر سير) أي منها .
لقد أشرف المسلمون من هذه المدينة على نهر دجلة
وعلى المدائن القائمة في الضفة الشرقية فلاح لهم قصر

عليه : نعم ، نحن مثكلون وهم مريحون ، والكال يخاف العجز إلا أن يعقب ، فقال لهم القعقاع باثا فيهم الشجاعة والهمة : إنا حاملون عليهم ومجاهدوهم وغير كافين ولا مقلعين حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تخالطوهم ، ولا يكذبن أحد منكم (١٩) .

ونجح القعقاع في أن يجد له منفذا نحو الطريق الذي أقامه الفرس على الخندق ، وطلب من أحد أصحابه أن ينادي : يامعشر المسلمين ، هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به فأقبلوا إليه ولا يمنعونكم من بينكم وبينه من دخوله .

وشد ذلك النداء من عزم المسلمين وهم يحسبون أن أميرهم « هاشم بن عتبة » قد نجح في اجتياز الخندق - وكان الذي نجح في ذلك فعلا هو القعقاع وليس هاشم - وعليهم أن يهبوا لنجدته ومساندته ، وأفلح القعقاع في بث النشاط والهمة في جند المسلمين بنداؤه ذلك ، وهو يعرف بأن جند هاشم لن يتركوه وقد عرفوا بأنه قد اجتاز الخندق ولا بد أنهم سيسرعون لنجدته ومعوته ، وكان ذلك فعلا ، تحمل المسلمون حملاتهم الأخيرة على جند الفرس الذين بدأوا يتراجعون من شدة ضغط المسلمين عليهم ، ووصلوا أخيرا ليجدوا القعقاع وأصحابه قد نجحوا في السيطرة على الطريق الذي أعده الفرس لاجتياز الخندق ، فتعاونوا سوياً ودفعوا الفرس للمزيد من التراجع . واتتهت المعركة بانتصار المسلمين وتفرق شمل الفرس .

وأنشد القعقاع بعد انتصار المسلمين على الفرس في جلولاء :
ونحن قتلنا في جلولاء اثابرا
ومهران اذ عزت عليه المذاهب

ويوم جلولاء الواقعة افنت
بنو فارس ، لما حوتها الكتائب (٢٠)

وكانت آخر المعارك التي اشترك بها القعقاع في حياة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، معركة نهاوند . ففي محاولة أخيرة لوقف زحف المسلمين في أرض فارس ، جمع الملك الفارسي (يزدجرد) ، جيشا فارسيا في نهاوند ، بلغ تعداده مائة وخمسين ألف فارسي ووضع على رأسه القائد (الفيزان) وكان خليفة المسلمين عمر ، قد عزم على قيادة جيش المسلمين بنفسه لمحاربة الفرس في نهاوند ، إلا أن الصحابة الكرام أقنعوه بأن يولي أحد غيره قيادة هذا الجيش ، وان في بقاءه في المدينة منفعة أكبر للجيش المحارب ولجموع المسلمين ، واستقر رأي الخليفة أخيرا على توليه « النعمان بن مقرن المزني » ، قيادة الجيش .

والتقى الجيشان في نهاوند ، كان على مقدمة جيش المسلمين ، « نعيم بن مقرن » ، وعلى جناحيه « حذيفة ابن اليمان ، وسويد بن مقرن » ، وعلى المجردة (الخيـل) القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقة (المؤخرة) مجاشع (٢١) واشتبك المسلمون مع الفرس ، واستمر القتال طوال اليومين الاولين لبدئه ، وكلا الجيشين على موقفيهما ، وفي مواقعهما الاولى ، إلا انه في اليوم الثالث ، ونتيجة لضغط المسلمين تراجع الفرس ليحتموا بالخنادق التي حفرها حول مدينة نهاوند ، ويختبئوا خلفها .

وتشاور النعمان مع أصحابه حول التمكن من الفرس بعد أن احتسوا بالخنادق ، فأشار عليه أحد أصحابه بأن يكلف ثلة من فرسان المسلمين بمناجزة الفرس ومناوشتهم ، ليخرجوهم من خلف خنادقهم ، ومن ثم يتراجع أولئك الفرسان من أمامهم ، فيظن



مقرن» ، وأخرج النعمان بعيدا عن أرض المعركة ،
وغطي بثوبه ، وكتم مقتله عن جند المسلمين لئلا يؤثر
ذلك على معنوياتهم •

وظل القتال محتدما بين المسلمين والفرس حتى
أظلمت السماء ، تمكن عندها المسلمون من اختراق
صفوف الفرس وتشتيت جموعهم ، فدب الذعر في
نفوسهم ، وعمدوا الى الفرار من أرض المعركة ، فلحق
بهم المسلمون وتمكنوا من قتل الكثيرين منهم قبل أن
يلوذ البقية بالفرار •

وكان ممن نجا وفر من أرض المعركة « الفيرزان »
قائد جيش الفرس الذي انطلق نحو (همذان) ، فلحق
به « نعيم بن مقرن » وسبقه في ذلك القعقاع ، على أن
« الفيرزان » ترك فرسه ، وصعد الجبل القريب من
أرض المعركة ، فترك القعقاع فرسه أيضا ، ليلحق به ،
وتمكن منه وقتله (٢٢) •

أما في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ،
كان القعقاع مقيما في الكوفة ، ومن هذه المدينة انطلقت
أول بوادر الفتنة والثورة على الخليفة ، وعامله « سعيد
ابن العاص » •

وقد استغل أولئك الذين أرادوا عزل سعيد لسياسته
المنحرفة في الكوفة ، فرصة غيابه عن الكوفة ، فثاروا
مطالبين بعزله وخلع الخليفة عثمان ، فخرج « يزيد بن
قيس » ثائرا ودخل مسجد المدينة ، وجلس فيه واجتمع
اليه أولئك الذين يتبعونه ، فما كان من القعقاع الذي
كان حاضرا يومها إلا أن قام وانقض على يزيد ، وأخذه
منكرا عليه ما يطالب به من خلع الخليفة ، وعزل سعيد ،
فقال له يزيد : إنما نستعفي من سعيد • فرد عليه
القعقاع بكل حزم وشدة : هذا مالا يعرض لكم فيه ،
لا تجلس لهذا ولا يجتمعن إليك ، واطلب حاجتك ،
فلعمري لتعطينها (٢٣) •

الفرس بأن المسلمين قد نكصوا على أعقابهم ، وانهم
لاذوا بالفرار ، فيلحق بهم الفرس ، ليفاجئوا بعد ذلك
بالمسلمين وقد استعدوا لهم وخرجوا لقتالهم بالقرب
من معسكرهم •

وأعجب النعمان برأى صاحبه ووافق عليه ، وكان
أن وقع اختياره على فارسنا القعقاع ، لقيادة فرسان
المسلمين الذين سيكلفوا بمناجزة الفرس ومناوشتهم •
وانطلق القعقاع مع ثلة من فرسان المسلمين لتنفيذ
المهمة ، وبقي لفترة من الوقت يقاتل الفرس الذين
خرجوا له من خلف خنادقهم ، تراجع بعدها مع فرسانه
من امامهم ، وظل على تراجعه ، فحسب الفرس أن
الفرصة واتتهم ، فلحقوا بالقعقاع وأصحابه الفرسان ،
بعد أن غادروا امكانهم خلف الخنادق ، ظنا منهم أنهم
تمكنوا من جند المسلمين وسرعان ما سيلحقوا بهم
الهزيمة ... وكان ان عاد القعقاع واصحابه الفرسان
الى معسكر المسلمين الذين كانوا قد استعدوا للقتال
وتجهزوا له ، وأمر النعمان جند المسلمين ألا يغادروا
مواقعهم وألا يقاتلوا حتى يأمرهم بذلك فامتلأوا
لأوامره ، واستروا عن أعين الفرس • وكبر بعدها النعمان
لجند المسلمين ، مؤذنا ببدء القتال ، فاشتبك الجيشان ،
وكان القتال شديدا والمعركة حامية الوطيس ، والنعمان
يحمل راية جيش المسلمين يدافع عنها لتبقى مرفوعة
خفاقة ، وغابت الشمس عن أرض المعركة ، وبدأ الليل
ينشر رداءه على صفحة السماء ، وكثر عدد القتلى من
الفرس ، وملأت جثثهم ودماهم أرض المعركة ، حتى
باتت الارض لزجة ، ينزلق عليها الجند والخيول من كثرة
ما عليها من دماء ، وكان أن انزل فرس النعمان في أرض
المعركة يومها ، وتسبب ذلك في مقتله ، وتناول راية
جيش المسلمين من النعمان قبل أن تقع ، « نعيم بن

فالقعقاع لم يرد أن يستغل أولئك الثائرين فرصة غياب سعيد عن الكوفة ، ليعلموا ثورتهم ، ويثبوا الفرقة والفتنة بين أهل الكوفة ، سعيد عامل الخليفة عثمان ، وطالما أبقاه عثمان فلا يحق لأحد أن يعزله إلا بأمر الخليفة ، وعرض القعقاع على يزيد أن ينتظر عودة سعيد ، ولا بد من أن سعيد سيقضي له حاجته إن كان له حاجة ، أما الثورة والفتنة فهذا ما لا يرضاه القعقاع ولا يقبل به .

وفي رواية أخرى للطبري : أن يزيد وقد اجتمع إليه أصحابه قال للقعقاع : ما سبيلك عليّ وعلى هؤلاء ! فوالله ! إني لسامع مطيع ، وإني للآزم لجماعتي إلا أنني استعفي ومن ترى من إمارة سعيد ، فرد عليه القعقاع منكراً ما يطالب به ومستغربه في الوقت نفسه : استعفى الخاصة من أمر رضىته العامة ؟ فقال يزيد : فذلك الى أمير المؤمنين (٢٤) أي أن أمير المؤمنين هو الحكم في هذا الموضوع فإن قبل بعزل سعيد فهو الذي نسعى إليه .

وكان أن استجاب الخليفة لمطالب أهل الكوفة ، وعزل عامله سعيد ، واستبدله بأبي موسى الأشعري . ولما استعرت الفتنة من جديد ، واتجه الثوار من أهل بعض الأمصار الى المدينة ليناظروا عثمان في سياسته مره ، وليضربوا الحصار حول منزله في المره الثانية ، كتب عثمان الى أهل الأمصار ليهبوا لنجدته وكان أن خرج القعقاع من الكوفة لنجدة الخليفة مع من خرج منها ومن بقية الأمصار .

على أن القعقاع تأخر بالوصول الى المدينة ، وكان أن قتل عثمان . وأريق دمه الطاهر على صفحات القرآن الذي فتحه بين يديه يقرأ فيه . وفي خلافة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)

خرج القعقاع للانضمام الى جيش علي . بعد أن تحدث لأصحابه في مسجد الكوفة حين قدم عليها الحسن ابن علي ، ليطلب مناصرة أهل الكوفة لأبيه ، قال القعقاع يوماً : إني لكم ناصح ، وعليكم شفيق ، أحب أن ترشدوا ، ولأقولن لكم قولاً هو الحق ، أما ما قال الأمير — يقصد الحسن بن علي — فهو الأمر لو أن اليه سيلاً ، وأما ما قال زيد — زيد بن صوحان ، الذي قدم من البصرة ، رسولاً للسيدة عائشة والزبير وطلحة الى أهل الكوفة ، ينصحكم بعدم الانضمام الى علي ، فزيد في الأمر فلا تستنصحوه فانه لا ينتزع أحد من الفتنة طعن فيها وجرى اليها ، والقول الذي هو القول أن لابد من إمارة تنظم الناس وتزع الظالم وتعز المظلوم ، وهذا علي يلي بما ولى ، وقد أنصف في الدعاء وإنما يدعو الى الإصلاح ، فافقروا وكونوا من هذا الأمر بمرأى وسمع (٢٥) .

وكان القعقاع رسول علي الى السيدة عائشة والزبير وطلحة الذين خرجوا مطالبين بالثأر لمقتل عثمان واختيار خليفة للمسلمين .

فقد أرسل علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) القعقاع رسولاً الى البصرة لمقابلة السيدة عائشة والزبير وطلحة وقال له : الق هذين الرجلين يابن الحنظلية ، فادعهما الى الألفة والجماعة ، وعظم عليهما الفرقة ، وسأله : كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه رصاة مني ؟ فرد عليه القعقاع : نلقاهم بالذي أمرت به ، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا الرأي وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي . فأثنى عليه علي قائلاً : أنت لها .

وخرج القعقاع حتى قدم البصرة ، وبدأ بالسيدة عائشة ، فاستئذن ثم دخل عليها وقال لها : أي أمه ،

التي قل متاعها ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدر ، وليس كالأمر ، ولا تقتل الرجل ، ولا نفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل . فوافقوه الرأي وقالوا : نعم ، إذا قد أحسنت وأجبت المقالة ، فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر . فرجع القعقاع إلى علي وأخبره ما كان بينه وبين السيدة عائشة والزبير وطلحة . (٢٦)

ولكن المفاوضات لم تشر ولم تصل بالفريقين إلى النتيجة المرجوة ، فكان أن اقتتلا ، في موقعة اطلق عليها اسم موقعة الجمل ، نسبة إلى الجمل الذي كانت تركبه السيدة عائشة ، وقد قاتل أصحابها من حوله بشدة واستبسال ، ولكن المعركة انتهت بمقتل الزبير وطلحة ، وبهزيمة أصحاب السيدة عائشة .

أما آخر ذكر للقعقاع ورد في كتب المؤرخين ، فكان ما أورده بخصوص ما قاله القعقاع عن معركة صفين وقد اشترك مع علي ضد معاوية وأصحابه ، وقد قال : ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من قتال القلب يوم الجمل بقتال صفين ، لقد رأيتنا ندافعهم بأستننا وتكئ على أزجتنا ، وهم مثل ذلك حتى لو أن الرجال مشيت عليها لأستقلت بهم . (٢٧)

تلك هي حياة القعقاع بن عمرو ، فارس بني تميم ، تلك حياته بكل شجاعة صاحبها وبطولته وعظمته . . .

لقد سطر القعقاع انضع الصفحات ، وخلف أطيب الذكر ، وترك أفضل الأثر ، فهو من أولئك الفرسان الذين سيقون مفخرة عظيمة لنا ، لأمة العرب والاسلام ، التي ما بخلت على الدنيا بانجاب خير الرسل ، وأعظم الأبطال ، وأشهر القواد .

كان القعقاع من صحابة رسول الله صلى الله عليه

ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت : أي بني ، اصلاح بين الناس ، قال القعقاع : فابعثي إلى طليحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما ، فبعثت إليهما فجاءا ، فقال لهما القعقاع : إني سألت أم المؤمنين : ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد ؟ فقالت اصلاح بين الناس ، فما تقولان أنتما ؟ أمتابعان أم مخالفان ؟ قال : متابعان ، قال القعقاع : فأخبراني ما وجه هذا الاصلاح ؟ فوالله لئن عرفنا لنصلحن ، ولئن أنكرناه لا نصلح ، قال : قتلة عثمان رضي الله عنه فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، وإن عمل به كان إحياء للقرآن . فرد عليهما القعقاع : قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة ، وأتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة إلا رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف ، واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتهم ذلك الذي أفلت - يعني حرقوص بن زهير - فمنعه ستة آلاف وهم على رجل ، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون ، وإن قاتلتوهم والذين اعتزلوكم فأدبلوا عليكم فالذي حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون ، وأتم أحميتم مضرورية من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلناكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير . فقالت أم المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال القعقاع : أقول هذا الأمر دواءه التسكين ، وإذا سكن اختلجوا ، فإن أتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بئار هذا الرجل ، وعافية وسلامة لهذه الأمة ، وإن أتم أبيتهم إلا المكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر ، وذهاب هذا الثار ، وبعثة الله في هذه الأمة هزاهزا ، فأثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح ، وإيم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه وإني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الأمة

وسلم ، ومن أولئك الذين اعتمد عليهم الخلفاء
الراشدون فكانوا من قوادهم ورسلمهم ، وجنودهم
الاولياء .

وقد اكتنف الغموض تاريخ ولادة القعقاع
ونشأته الاولى وكذلك اكتنف نهاية حياته ، وتاريخ
وفاته !!!

فمعركة صفين هي آخر المعارك التي اشترك
فيها القعقاع وكان مع جند علي بن أبي طالب (رضي
الله عنه) وانتقل بعد انتهاء هذه المعركة الى (الكوفة) ،
ليقيم فيها معتزلاً الأحداث ، ويقضي آخر أيامه وفي
خاطر ذكرى المعارك والفتوح والأمجاد التي سطرها
بأحرف مضيئة من شجاعة وبطولة ونبل .

توفي القعقاع في السنة الأربعين للهجرة النبوية
الشريفة أي هذه السنة وصل القعقاع الى نهاية المشوار ،
وانتقلت روحه الى جوار ربها . إذاناً باتهاء حياة
صاحبها .

على أننا وقبل أن نختم هذه المقالة . لابد أن
تحدث عن جانب آخر من جوانب شخصية القعقاع ،
تحدث عن القعقاع الشاعر .

لم نعثر للقعقاع على أشعار قبل إسلامه ، وكل ما
نسب اليه من شعر كان بعد إسلامه ، وفي معرض
الحديث عن معارك المسلمين ، وانتصاراتهم وفتوحاتهم .

لقد كان شعر القعقاع مرآة صادقة عكست كل
مظاهر البطولة والشجاعة التي ابداهها وقومه في
المعارك ، وسجلاً دقيقاً لتفاصيل الأحداث وتتابع
الانتصارات التي اشترك فيها مع جيش المسلمين في
العراق والشام .

لم يترك القعقاع مناسبة لتصوير حبها والمسلمين ،

وحسن بلائهم ، وعظمة تضحياتهم ، إلا وصورها
وتحدث عنها ، كأن انتصار المسلمين لا يكتمل إلا برسم
هذه الصورة ، وجهادهم لا يوفى حقه إلا بالإشادة بما
فعلوه في ساحات القتال .

وعلى الرغم من كثرة ما أنشده القعقاع من
أشعار . إلا أننا لم نعثر له على قصائد متكاملة ، وكل
ما ذكره المؤرخون ، أبيات شعرية ، ارتجزها في المعارك
وعند انتصار المسلمين على أعدائهم .

وقد اقتصر شعر القعقاع على غرض واحد ،
غرض تصوير المعارك والاشادة بشجاعة المجاهدين
وبطولاتهم . ورثاء من استشهد منهم ، حتى لنستطيع
أن نطلق على شعره شعر الفتوح بالدرجة الاولى .

فنحن لا نعثر للقعقاع على شعر الحنين مثلاً ،
وقد عزاه بعضهم لوجود جموع كبيرة من أبناء عمومته
معه في حرب العراق . ووجود زوجته معه كذلك .

كما لا نعثر على شعر يتحدث عن حياته الخاصة ،
أو عواطفه الشخصية ، ولعل حياة الجهاد التي أرادها
القعقاع لنفسه لم تترك له المجال ليلتفت الى حياته
الخاصة وعواطفه الشخصية ...

كان شعر القعقاع ، واضحاً ، بسيطاً صادقاً لا
غموض فيه ولا تعقيد ، ينساب بكل هدوء وجزالة ،
يؤثر في النفوس ولا يتكلفها أي جهد أو عناء .

وهذه بعض من أشعار القعقاع نسوقها لتكون
الصورة متكاملة عن هذا الفارس الشاعر .

فبعد انتصار المسلمين المظفر على جيش الروم في
معركة اليرموك ، يقف يشهد مفاخراً بانتصار جيش
المسلمين مذكراً بانتصارات هذا الجيش في أرض

العراق • متحدثاً عن تتابع الفتوحات وسقوط معاقل
الروم ومدنهم أمام زحف جيش المسلمين ، راسماً
صورة بطولية لهذا الجيش الذي تتابعت انتصاراته •
وكيف انتهى الحال بجند الروم • وقد لحقت
بهم الهزيمة ، وسقطوا في وادي الرقاد (الواقعة) ،
ليبقى ذكر هذه الملحمة التاريخية مسطراً أبدياً الدهر ،
فيقول :

وفي فحل كانت مأساة الروم ، فقد هزموا شر
هزيمة ، وتشتت جموعهم في مياه المستنقعات •
والمسلمون ينالون منهم بالسيوف والرماح ، وأنشد
يقول :

كم من أب ورثت فعالة
جم المكارم بحره تيار

ورث المكارم عن أبيه وجده
فبنى بناءهم له استبصار

فبنيت مجدهم وما هدمته
وبنى بعدي أن بقوا عمار

مازال منا في الحروب مروس
ملك يغير وخلفه جرار

بطل اللقاء اذا الثغور توكلت
عند الثغور مجرب مظفار

وغداة فحل قد رأوني معلماً
والخيل تنحط والبلا أطوار (٣٣)

يفدي بلائي عندها متكلف
سلس المياسر عوده خوار

سلس المياسر ما تسامى ما قطا
عند الرهان معير عيار (٣٤)

مازالت الخيل العراب تدوسهم
في حوم فحل والهابا موار (٣٥)

ألم ترنا على اليرموك فزنا
كما فزنا بأيام العراق

فتحنا قبلها بصرى وكانت
محزمة الجناح لدى العناق (٣٨)

وعذراء المدائن قد فتحنا
ومرج الصفرين على العناق (٣٩)

قتلنا من أقام لنا وفئنا
فهابهم بأسياق رقاق (٤٠)

قتلنا الروم حتى ما تساوى
على اليرموك نفروق الوراق

فضضنا جمعهم لما استمالوا
على الواقعة البتر الرقاق

غداة تها فتوافيها نصاردا
فصاروا إلى أمر يعضل بالذواق

وكانت موضوعات الفخر هي أكثر ما أنشد فيها
الققعاق الشعر ، كيف لا ، والنصر كان حليفه في كل
المعارك التي اشترك بها • واعظم الفتوحات الإسلامية
وابعدها أثراً قد أسهم فيها ، فحق له بعد ذلك أن يفخر
ببطولته وشجاعته ، وبصنيع قومه •

فبعد انتصار المسلمين في معركة فحل ، ينشد

حتى رمين سرانهم عن أسرهم

في روعة ما بعدها استمرار

يوم الرداغ بعيد فحل ساعة

وخز الرماح عليهم مدرار

ولقد برأنا في الرداغ جموعهم

طرا ونحوي تشخص الابصار

وفي الرثاء ، نجد القعقاع يهتز لمقتل أحد أصحابه
في معركة القادسية . والمسلمون لا يفعلون شيئا سوى
انتظار تكبيرة سعد ايداناً ببدء القتال ، فيثور ويفضب
ويحمل على الفرس ، عله يشفي غليله ويثأر لصاحبه ،
ليرثيه بعد انتهاء المعركة وهو ينشد :

سقى الله يا خوصاء قبر ابن يعمر

إذا ارتحل السفار لم يترحل

سقى الله أرضاً حلها قبر خالد

ذهاب غواد مدجنات تجلجل

فأقسم لا ينفيك سيفي يحصم

فان زحل الأقوام لم أترحل

وفي الوصف ، نلمس مهارة القعقاع في رسم الصورة
الواضحة البليغة المعبرة ، فنقرأ شعره ويخيل لنا بأن
ما يصفه مائل أمامنا يكاد أن يتطق ...

ومن أطرف ما قاله في الوصف ، وصفه لثلاثة من
فرسان المسلمين تقدموا لخطبة شقيقة زوجها ، فبعد
انتهاء معركة القادسية تقدم أولئك الفرسان وهم : بكير

ابن عبد الله الليثي ، وعتبة بن فرقد السلمي ، وسماك
ابن خرشة الانصاري . لخطبة أروى ابنة عامر الهلالية .
فسألت أروى شقيقتها زوجة القعقاع أن تستشير لها
زوجها وقالت لها : استشيري زوجك أيهم يراه لنا ،
وحين استشارت زوجها قال لها : سأضعهم في الشعر
فاظفري لأختك وأنشد يقول :

إن كنت حاولت الدارهم فانكحي

سماكا أخا الأنصار أو ابن فرقد

وإن كنت حاولت الطعان فيمي

بكيرا إذا ما الخيل جالت عن الردى

وكلهم في ذروة المجد نازل

فشأنكم إن البيان عن الغد

الهوامش والمصادر :

(١) الحوص : الخياطة .

(٢) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٣ ص (٢٦٢)
الناشر دار المعارف بمصر .

(٣) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٣ ص (٣٤٧) .
الناشر دار المعارف بمصر .

(٤) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٣ ص (٣٦٥) .
الناشر دار المعارف بمصر .

(٥) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٣ ص (٣٧٩) .
الناشر دار المعارف بمصر .

(٦) معجم البلدان : لباقوت الحموي ج ٢ ص (٢٦٧) .
الناشر دار صادر بيروت .

(٧) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٣ ص (٣٩٨) .
الناشر دار المعارف بمصر .

(٨) تاريخ مدينة دمشق : لابن عساكر . المجلد الاول
ص (٥١٨) . الناشر المجمع العلمي العربي بدمشق .

- (٩) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٣ ص (٥٤٣) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (١٠) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٣ ص (٥٤٧) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (١١) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٣ ص (٥٥١) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (١٢) خام : نكص وجبن . قديس : اسم حصن في القادسية ، كان سعد يشرف منه على أرض المعركة . حيث لم يشترك سعد في المعركة . راجع كتاب القعقاع بن عمرو ، لكاتب المقالة .
- (١٣) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٣ ص (٥٥٧) .
- (١٤) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٣ ص (٥٦٢) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (١٥) القادسية : أحمد عادل كمال . ص (١٧٦) .
الناشر دار النفائس - بيروت .
- (١٦) بهر سير : من نواحي سواد بغداد قرب المدائن .
- (١٧) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٤ ص (٨) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (١٨) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٤ ص (١٢) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (١٩) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٤ ص (٢٧) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٠) معجم البلدان . لياقوت الحموي ج ٢ ص (١٥٦) .
الناشر دار صادر بيروت .
- (٢١) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٤ ص (١٢٨) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٢) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٤ ص (١٣٣) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٣) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٤ ص (٣٣١) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٤) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٤ ص (٣٤٦) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٥) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٤ ص (٤٨٤) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٦) تاريخ الرسل والملوك : للطبري ج ٤ ص (٤٨٩) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٧) تاريخ والرسل والملوك : للطبري ج ٤ ص (٥٣٢) .
الناشر دار المعارف بمصر .
- (٢٨) ويقال لدى العناق . والعناق النجم الاوسط من بنات نعش الكبرى وهي توصف بالبعد والخفاء . يقصد انها في امتناعها وبعدها على الغزاة كأنها عند العناق .
- (٢٩) يقصد بالعناق : عناق الخيل
- (٣٠) رفاق : الرقيقة . والمقصود انها سيوف رقيقة قاطعة الحد .
- (٣١) البتر : المقصود بها السيوف .
- (٣٢) الدواق : الابتلاء والتجربة .
- (٣٣) معلماً : ذو علامة . تنحط نحط نحيطاً : زمر . والنحط صوت الخيل من الثقل والاعياء
- (٣٤) المايط : المضيق في الحرب .
- (٣٥) الهبا : الغبار . أو ما يشبه الدخان .

